**جمالية تيمة الوطنية في رواية " كتاب الأمير" لواسيني الأعرج، مقـاربة سيميائية. د. عبد الله تــوام، الباحثة وحيـدة بـوقـنـوس ، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر.**

**مقدمة:**

تعتبر الرواية أكثر الأنساق الأدبية التي اتخذت من المظهر الجمالي شكلا لها وتسربت عن طريقه إلى الوعي العربي المعاصر، لكي تضمن لها الاستمرار والترسيخ، إذ أصبحت نسقا يدعي التعبير عن الحداثة العربية في لحظتها الراهنة، وقد جسدت لنا رواية **" كتاب الأمير. مسالك أبوابالحديد " لواسيني الأعرج الوطنية من خلال شخصيات وطنية، اذ تعتبرالشخصية**الوطنية عنصرا مركزيا في الأعمال السردية الجزائرية خاصة الروائية منها،فهي تعدّ أهم المشكّلات السردية التي تكوّن المتن الروائي،فلا يمكن للنصوص الروائية الاستغناء عنها، إنّها تمثل العنصر الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط و تتكامل في مجرى الحكي[1]، وهي الشيء الذي تتميز به عن أجناس الأدب الأخرى فمثلا لو ذهبت الشخصية عن القصة القصيرة لصنفت في جنس المقالة، فهي التي تصطنع اللّغة،تبثّ الحوار وتنشطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها،وتتفاعل مع الزمن فتمنحه معنا جديدا وتتكيّف في التعامل معه في الماضي والحاضر والمستقبل،وبفضلها تتحرك الأحداث وتتطوّر، فهي العنصر المحرّك للحدث داخل الرواية، تبثّ فيها الحركة وتمنحها الحياة، هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في السياق[2].

[1] سعيد يقطين، قال الراوي- البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ،المركز الثقافي ،بيروت-الدار البيضاء ، 1997 ، ص87 .

[2] ينظر: عزيزة مريدن ،القصة والرواية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ص 25

ويعرفها عبد الملك مرتاض «أنّها كائن حي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه »[1]

في حين أنّ التصوّر التقليدي للشخصية يعتمد أساسا على الصفات أو السمات ( مظهرها الخارجي )، أي الاعتماد على العوامل الاجتماعية والنفسية التي ساهمت في بناء الشخصية، بدراسة الأحوال الداخلية للكائن الذي تحيل إليه، ووضعه ضمن الإطار العام للأحداث، مؤثرا فيها ومتأثرا بها انطلاقا من وضعيته النفسية، ممّا أدّى إلى الخلط بين الشخصية الحكائية (personage ) والشخص في الواقع العياني (personne )، وهذا ما جعل ميشال زرافاMichel Zarafa() يميّز بين الاثنين عندما اعتبر الشخصية الحكائية علامة فقط على الشخص الحقيقي بقوله: « إنّبطل الرواية هو شخص(personne) في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص»[2]، أي أنّ الشخص الحقيقي غائب عن المشهد و تنوب عنه علامة دالة، ولهذا لا يجب الخلط بين الشخص الحقيقي المعبّر عن ذات وبين الشخصية الروائية التي تأخذ أبعادها فقط داخل النص الروائي، باعتبار« أنّ الشخصيات بوصفها وحدات المستوى الفعلي لن تجد معناها إلاّ إذا أدرجت في مستوى السرد في مقابل الوظائف والأفعال»[3].

**2 .تجسيد الوطنية في الرواية من خلال شخصية الأمير عبد القادر الجزائري:**

تعتبر شخصية الأمير عبد القادر من الشخصيات المرجعية personnages référentielles في الرواية، وهيشخصية تاريخية جزائرية حافلة بدلالات ثقافية معينة يعتمد تحديدها على فاعلية فعل القراءة، أي بمستوى مشاركة القارئ في تلك الثقافة. سجلت حضورها

---

[1]عبد الملك مرتاض تحليل الخطاب السردي- معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية « زقاق المدق »، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية- بن عكنون ،الجزائر ،1995 ،ص 126 .

[2]ينظر: حميد الحمداني ،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، ط1، 1991 ، ص50.

[3]محمد سويرتي ، النقد البنيوي و النص الروائي- نماذج تحليلية من النقد الأدبي ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،1991 ، ص114.

الدائم في الذاكرة الوطنية، وذلك بفضل نضالها المجيد في سبيل إحقاق الحق والحرية،شخصية ميّزت التاريخ العربي الحديث الحافل بالبطولات، وبالخصوص تاريخ الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي الغاشم. وقد نال الأمير عبد القادر هذه العظمة ليس فقط بوجوده ضمن قائمة الأبطال المحاربين بوقوفه في وجه فرنسا و صدّها عن غزو بلاده بكل ما أوتي من قوة، وإنّما اكتسب هذه العظمة لارتباطه بفكرة قيام الدولة الجزائرية في مهد نشوئها، بفضل شجاعته ومهارته التي جمع بها من حوله القبائل المتنافرة « فانطفأت فجأة كل الصراعات المحتملة »[1]،ليجابه بها دولة كبرى وهو ما يزال في سن الثالثة والعشرين من عمره ،بل كان و هو في تلك السن قد فرض نفسه بأنّه هو الممثل الوحيد للأمة العربية في الجزائر ،فهو باعتراف السلطات الفرنسية المؤسس الأول للدولة الجزائرية بالمفهوم المعاصر.

ولا شك أن المفاوضات والمعاهدات التي كانت تبرم بينه وبين الفرنسيين تحمل اعترافا بسلطته ومنها :المعاهدة التي عقدها الأمير مع الجنرال دوميشال عام 1933، فكانت بمثابة أول هدنة و بداية سلام [2]، معادة تافنة التي عقدها مع الملك الفرنسي الويس فليب والإتفاقية مع المارشال بيجو[3]. وتوظيف الكاتب لهذه الشخصية الرمز لم يكن عبثا ،لأنها لأنّه شخصية تاريخيةميّزت التاريخ العربي الحديث إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر ،كما يمكن اعتبارها أيضا درسا عميقا في التاريخ والحوار الحضاري والتسامح الديني .

لقد وفّق الكاتب في توظيف هذه الشخصية التاريخية،فبلغ القمة في وصفه لشخصية الأمير عبد القادر، حيث إنّه جمع بين أخلاق الفروسية التي بلغت حدّ

---

[1] واسيني الأعرج، رواية كتاب الأمير. مسالك أبواب الحديد ، منشورات الفضاء الحر ،باريس . الجزائر ،ط1، نوفمبر 2004، ص 79 .

[2] ينظر: الرواية ،ص 88

[3] ينظر: الرواية ،صص 188- 189

الكمال،الشجاعة التي كانت أقرب إلى الجسارة، الثقافة وفن الكتابة، دون أن يشغله ذلك عن هاجسه الأكبر "الوطن" ، فاستطاع الأمير بحنكته أن يزرع في نفوس الجزائريين القوة و الحماسة، ممّا كوّن لديهم الشعور الوطني ،والذي يعدّ من أهم وسائل التحرر و رفض خضوع الوطن للآخر.

وقد ساعد في سقل شخصية الأمير عبد القادر وتربيته على الوطنية وثوابت الأمة العربية، والده الشيخ محي الدين، وهو شخصية وطنية جزائرية وتاريخية، دخلت التاريخ من خلال مواقفها الحاسمة في مواجهة المستعمر الفرنسي،لم يكن لهذه الشخصية حضور كبير على امتداد مسار هذا النص السردي، إنّما كان حضورها من خلال بعض الاستذكارات في الوقفة الثانية من الرواية، حيث تواتر اسم الشيخ محي الدين في الرواية بمعدل إجمالي يقدر باثنين وثلاثين (32) مرة، وفي الوقفة الثالثة مرة واحدة، فكان الهدف من ذكرها هو تدعيم موقع شخصية الأمير عبد القادر بإظهار أصوله الثورية و جذوره العقائدية ،فكان لشخصية الشيخ محي الدين الأثر الإيجابي في شخصية الأمير؛ إذ تعلّم منه مكارم الأخلاق،وقول الحق حتى في نفسه، وحسن المعاملة والتدبير.وهذا ما تجلى من خلال الملفوظات الآتية :

- « سلّم على رأس والده ، قبّل يده واعتذر عمّا صدر منه»[1].

- « يجب أن لا تسمح للخيانة أن تنبت في دارك و أنت في بداية مشوارك»[2].

- « وقلت لي، قل قولة الحق حتى في نفسك، وها أنا ذا أقولها في وضع أرى فيه البلاد تموت والأراضي تضيق[3]».

لقد كان لشخصية الشيخ محي الدين أثر في توجيه سلوك الأمير إلى الإيجابية، لما يمثله من رمز سلطوي. شخصية خدمت الوطن بتفان وإخلاص، واجهت المستعمر

---

[1] الرواية ،ص 62

[2] الرواية نفسها، الصفحة نفسها

[3] الرواية ،ص 84

والخونة أمثال قاضي ارزيو أحمد بن الطاهر،الذي أعدمه بسبب خيانته لوطنه و إخوانه المسلمين، وبيعه لدينه وعرضه ووطنه للكفار [1]، فكان لا يتراجع في تنفيذ أحكام الله، وكان قدوتهم في الحق، وهذا ما جعل هذه الشخصية تنضوي سرديا ضمن المجال الدلالي للشخصية التاريخية والنضالية في الجزائر.

**3. جمالية تيمة الوطنية في رواية كتاب الأمير:**

لاحظنا في تطوّر أحداث هذه الرواية، أنّ الكاتب اتجه إلى اختيار بيئات عربية وأخرى أجنبيةتحدث عنها على مستوى المسار السردي، ومن الطبيعي أنّه قدّم في حديثه عن هذه البيئات شخصيات عربية وأخرى أجنبية فرنسية، وذلك بحكم الاستعمار الفرنسي للجزائر . وفي اتجاهه إلى الدول العربية والإسلامية قدم لنا شخصيات من بيئة المغرب الأقصى.

أمّا فيما يخص اختياره للشخصيات البطلة و الرئيسية فاختار شخصية الأمير عبد القادر ومونسينيور ديبوش والذين قاما بأدوار المقاومة و الحنكة والسياسة؛ ولمّا كانت البيئة الجزائرية والفرنسية هي الطاغية على هذه الرواية كان على الكاتب . الذي حاول أن يرضي قرّاءه . أن يكون شديد الحذر في اختيار أبطاله من هاتين البيئتين ،وقد أراد الكاتب لروايته أن تبقى ضمن حدود البيئة الجزائرية و البيئة الفرنسية بحكم وقوع أحداث الرواية في زمن الحملة الفرنسية على الجزائر ،إذ حدث أن اختار الكاتب شخصيتين بطلتين : الأولى تقوم بدور المقاومة تمثلت في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري ،والثانية تقوم بدور إنساني تمثلت في شخصية مونسينيور ديبوش الفرنسي ،وكان لابد أن يختار هذه الشخصية الأخيرة من بيئة أجنبية حتى يتبيّن هذا الدور الإنساني أكثر ،خاصة وأنّه وجد في هذه الشخصية الأخيرة الشجاعة في مواجهة المجتمع الفرنسي و مسؤولية الكبار في سبيل إحقاق الحق و تبيان وجه الحقيقة الغائبة بدفاعه عن رجل الجزائر الكبير الأمير عبد القادر مثل الذي يدافع عن كتاب مقدس ، إلى درجة

[1] ينظر الرواية ،ص 57

أنّه جعل حياته رهن إطلاق سراحه [1]، ولذلك«فقد يختار المؤلف شخصياته بحيث يدع لها مجالا لاستعراض معلوماته في موضوع معيّن »[2].

ونجد الكاتب قد برع في روايته (كتاب الأمير) في اختيار شخصياته التي قامت بدور كاف ومناسب في نقلها لحقيقة تاريخية إلى القارئ ،إلاّ أنّه يجعل الشخصية الرئيسية في الرواية هي شخصية الأمير عبد القادر كونها تمثل الدور الكبير في المقاومة الجزائرية ضدّ الاستعمار وشخصية مونسينيور كونها تمثل الدور الإنساني في توضيح حقائق تاريخية كانت منسية، وقد قصد الكاتب ذلك حتى يتيح للقارئ و لنفسه فرصة التعرف على هذه الحقائق التاريخية المنسية باختياره لشخصيات روايته بصورة تسمح له باستعراض معلوماته بطريقة سليمة، إلاّ أنّ رسمه لهذه الشخصيات يدور في إطار مغلق تشترك فيه الشخصيات من خلال مظاهر معينة وهي مظاهر مشتركة بينها وبين السيرة الذاتية من ناحية وبين الرواية التاريخية الواقعية من ناحية أخرى.

ومن أبرز هذه المظاهر أنّ هذه الشخصيات إنسانية مثالية وتصور الشخصية الإنسانية على هذه الصورة يذكرنا بالصورة التي كان الشاعر العربي يتحدث بها عن شخصياته خاصة في غرضي المدح والفخر إذ يضفي عليها مجموعة من الصفات المثالية لخصها بعض النقاد في الكرم والشجاعة والعفة والعقل فيجعلها تمثل لذلك قمة الخير **والوطنية.**

أما إذا أراد أن يمثل بها العكس فإنّه يهجو بها ليصفها بمجموعة من الصفات المثالية التجريدية التي تصل بها إلى قمة السوء والشر وتلخص في النقيض المباشر لصفات الممدوح [3]، وهذا ما تمثل في رواية كتاب الأمير من خلال الصفات التي وصف بها

---

[1] الرواية ، ص 14

[2] عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية الحديثة في مصر (1870- 1938 ) ،دار المعارف ،القاهرة ،ط 4،1994، ص 163

[3] ينظر: عبد المحسن طه بدر ،تطور الرواية الحديثة في في مصر (1870- 1938 ) ،م س ،ص 165

الكاتب الأمير، أعوانه أعدائه،خونته،مونسينيور ديبوش وممثلي الحكومة الفرنسية من دبلوماسيين وجنيرالات وقادة ...الخ. وهذه الشخصيات تتشابه في ملامحها النفسية إلى حد كبير في شتى المجالات التي اتجهت إليها هذه الرواية سواء اكانت هذه الشخصيات عربية أو أجنبية، وهي شخصيات حكم الكاتب على معظمها حكما نهائيا مطلقا بصفة الخير أو الشر من أول الرواية إلى آخرها ، وترك للقارئ الحكم على صفاتها من خلال أقوالها ووظائفها، فنجده اختزل الشخصيات بحسب وظائفها إلى عاملين رئيسيين: تجسّد الأوّل في الشخصية الثائرة في وجه العدوّ و الشرّ ؛المدافعة عن هويتها وثوابتها ومبادئها و عن الحق، أمّا الثاني فتجسد في شخصية المعارض الاستعماري و أعوانه من العملاء الجزائريين والمغاربة،هذا الاستعمار الذي حاول اكتساح الهوية بل وخلخلتها بعد اغتصابه الوطن ( الجزائر).

ومن خلال تتبعنا لتمفصلات السرد في فضاء هذه الرواية، نلاحظ هيمنة شخصيتين رئيسيتين على المسار السردي على اعتبار أنّ المشاهد كلّها مبأرة *[1]من خلالهما، خاصة وأنّ الكاتب أبدى لنا من خلالهما أهم أحداث الرواية ،كما قدّم لنا الجوانب الإيجابية في علاقتهما،ومن خلال تداعيات السرد يمكننا مقارنة الشخصيتين ضمن المخططة الآتية:

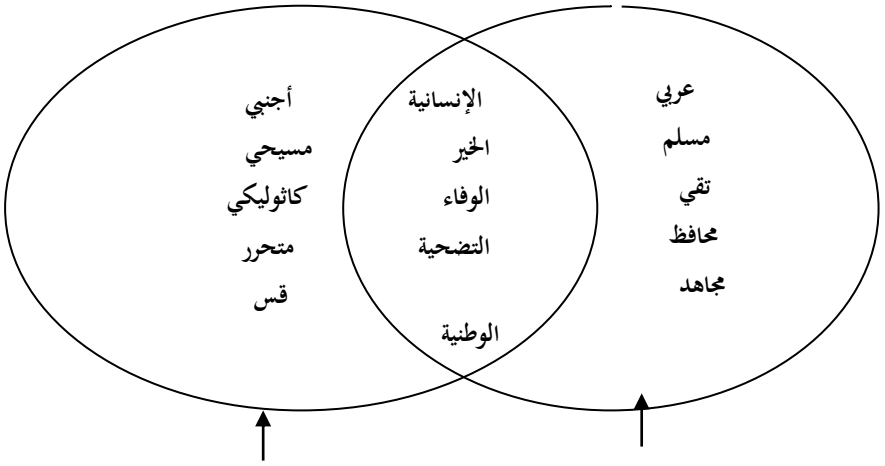


[1]مبأرة : من التبئير: ويعني وصف الأحداث وكذا عملية السرد من خلال شخصيات معينة يتم اختبارها لهذا الغرض ،حيث يتم من خلالها نقل ما جرى أو يجري .

الأمير عبد القادر مونسينيور أنطوان ديبوش

من خلال هذا المخطط تظهر المواقع المتضادة للشخصيتين،في حين تظهر مواقع مشتركة بينهما، فرغم اختلاف الشخصيتين انتماء و دينا وعقيدة، إلاّ أنّهما يشتركان في صفات إيجابية عديدة منها: الإنسانية ،التضحية ،الوفاء والخير.

ويمكن اختصار هذه المخططة في الجدول الآتي :

| الشخصيات / الصفات | الأمير عبد القادر | مونسينيور أنطوان ديبوش |
|---|---|---|
| - غبن الوطن | + | + |
| - الهدوء | + | + |
| - المسالمة | + | + |
| - الوفاء | + | + |
| - التضحية | + | + |
| - الإنسانية | + | + |
| - حب الخير | + | + |

بناء على ما تقدم نلاحظ اشتراك الشخصيتين في **الإصرارولإخلاص** و**التضحية**، هذا ما يدفعهما لخلق الهدفين: **الحرية** و**إنقاذ سمعة الوطن**، خاصة وأنّهما ضحيا بطريقة تجعلهما متداولين في تاريخ الأمم من جيل إلى جيل، وقد كانت تضحياتهما نبيلة في سبيل إنقاذ سمعة الوطن وخدمة الإنسانية جمعاء، فكانا شمعتين منيرتين لغيرهما في الخلق ومسايرة الأحداث وتحديات هذه الحياة الصعبة .

ومن خلال تتبعنا لمسار السرد في رواية " كتاب الأمير "،تظهر بجلاء قيمتين أخلاقيتين متضادتين: **الإخلاص / الخيانة** .

**الإخلاص** بوصفه قيمة أخلاقية إيجابية ثابتة في شخصية **الأمير** و كذا شخصية **مونسينيور**، فإخلاص الأمير تجلى في إخلاصه لوطنه الجزائر و لمبايعة إخوانه الجزائريين له من خلال المقاومات التي خاضها الأمير ضدّ الاستعمار و كذا المعاهدات التي عقدها مع كبار الجنيرالات الفرنسية. و هذا استنادا إلى مرجعية ثورية لوالده الشيخ محي الدين و لعائلته، أمّا إخلاص مونسينيور ديبوش، فيتجلى في وقع خطاه و هو يركض بين غرفة الشعب بباريس وبيته للدفاع عن الأمير السجين بقصر أمبواز( Amboise ) بفرنسا،ولا يرتاح إلا عندما يراه يركب سفينة لابرادور(Labrador ) متجها إلى القسطنطينية بتركيا.

أمّا **الخيانة**فهي قيمة أخلاقية سلبية ثابتة في الشخصيات المعارضة للأمير عبد القادر، والخائنة لوطنها الجزائر، ولدينها و لانتمائها العربي ومنها : الخليفة سيدي العربي، بوهراوة ،مصطفى بن اسماعيل و ابن أخيه المازاري[1] ، وقاضي ارزيو أحمد بن الطاهر الذي خان والده من قبل [2]، وخيانة ملك المغرب مولاي عبد الحمن وابنه العقون [3]، وكذا خيانة الجينيرالات الفرنسية بنقضها للمعاهدات التي عقدها معها، وهذه الخيانات بوصفها تعبيرا عن الرغبة في خيانة الوطن و الدين و المبدأ ـ وبالتالي الرغبة في استمرار الاستعمار في الجزائر ـ هي مرفوضة اجتماعيا ودينيا وعقائديا،وهي في الحقيقة ردّة فعل لأشخاص لا يريدون الخير لا للبلاد ولا للعباد ولا لأبناء الجزائر البررة أمثال الأمير عبد القادر ومن سبقوه في هذه الصفة. ويمكن أن نمثل هذه القيم الدلالية في المربع السيميائي الآتي:[4]

---

[1] ينظر الرواية ،ص178

[2] ينظر الرواية ،ص62

[3] ينظر الرواية ،ص 403

[4] ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ، 2000،ص 16

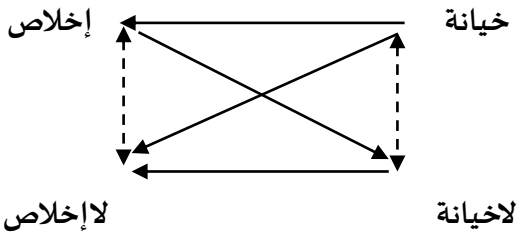


ولقد عمل الكاتب على إثارة القارئ لكي يرفض الخيانة من خلال الانتقال من موقع**الخيانة** إلى موقع**الإخلاص**، وعلى اعتبار أنّ هذه العلاقة عبارة عن رفض ونفي دائم لواحد من الحدين بغية تأكيد الآخر ،ويتم في هذه الحالة رفض ونفي مفهوم**الخيانة** التي تأخذ مفهومها في النظام القيمي على أساس التوتر الناجم عن مقابلتها لمفهوم **الإخلاص**،هذا الأخير الذي يدلّ على المسالمة ،الخير ، الإنسانية وحب الوطن ،أمّا **الخيانة** فتدلّ على العدوانية ،الشرّ ، اللاإنسانية و كراهية الوطن.

ويمكن تطويق وضعين متمايزين في الرواية من خلال المربع الآتي : [1]

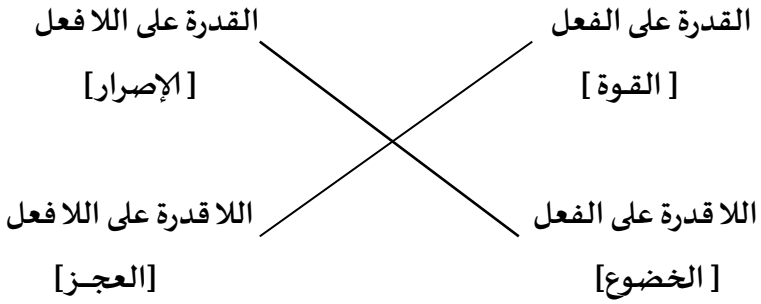


وبتعمقنا في دلالات هذا المربع،يتضح لنا أنّ الوضع الأول اتسم بقوة الأمير المطلقة، ذلك أنّ **القدرة على الفعل** وراثية في الثابت الذي يقترن بمجموعة من المبادئ ورثها عن والده تلغي حريته و تقوي قدرته وتجبره على السير وفق الطريق المرسوم والمحدد سابقا ،فكان

[1] ينظر المرجع نفسه،ص 89

لوالده لما يمثله من رمز سلطوي عليه الأثر البليغ في توجيه سلوكه إلى الإيجابية من تفان و إخلاص في خدمة البلاد و العباد، الحق والصرامة في مواجهة المواقف الصعبة( المستعمر و الخونة )،وهذا ما يظهر من خلال الملفوظات الآتية:

- « يجب أن لا تسمح للخيانة أن تنبت في دارك وأنت في بداية مشوارك »[1].

- « قلت لي ،قل قولة الحق حتى في نفسك ،و ها أنذا أقولها في وضع أرى فيه البلاد تموت و الأراضي تضيق »[2].

- حرقه لمدينة عين ماضي دليل على الصرامة التي ورثها عن والده في مواجهة الخونة أمثال محمد الصغير التيجاني، «أعطى روش و الأمير الأمر للفيالق الأولى، فبدأت بحرق كل شيء... »[3].

أمّا الوضع الثاني فاتسم **بالقدرة على اللا فعل**، بإصرار الأمير على مواجهة الاستعمار، إذ اتخذ قرار المواجهة ولم يخفه الاستعمار بعتاده وعدّته،وهو قرار مفروض عليه ، فرضتهعليه عقيدته ودينه وأخلاقه ،وهذا ما يظهر من خلال الملفوظات الآتية:

- « عبد القادر من الشباب الغاضب ،كم تمنى أن يتفرغ لكتبه و معارفه ،لكن عندما تحترق البلاد يصير العلم جبنا و التهاون خيانة »[4].

- «عزم الأمير على الجهاد و اعتبر التهاون في أدائه مروقا و خروجا عن الدين ، فقرر أن يقاوم حتى النهاية حتى لا يقال عنه أنّه ترك رعيته ونجى بجلده كما فعل غيره [5].

إلاّ أنّه و بعد وقوعه في أزمة الخيانات المستمرة من طرف بني جلدته ،و حتى أقرب الناس إليه خاصة ممن وضع الثقة فيهم من خلفائه ،استلزم عليه الأمر التفكير في إيجاد الحلول الممكنة للخروج من هذه المحنة .

---

[1] الرواية ،ص 176

[2] الرواية ،ص 84

[3] الرواية ،ص 245

[4] الرواية ،ص59

[5] ينظر الرواية ،ص264

و**معرفة الفعل** في هذا النص تقترن بخبرة الأمير في هذا المجال، إضافة إلى الوضع المفروض عليه،هذا ما كان له عميق الأثر في نفسية الأمير ممّا عزّز قناعته بضرورة وضع اتفاقية مع الجنيرال بيجو [1]، لكن هذا القرار جعله يتلقى مواجهة عنيفة و حادة، شنّها عليه أبناء منطقته خاصة إمام معسكر سيدي الصافي [2]، هذا الأخير الذي عمل على إضعاف رغبته**( إرادة الفعل)** التي تتضارب و مصلحة البلاد .

وتأسيسا على هذه الملاحظات يتبيّن أنّ الأمير عبد القادر يملك كل المؤهلات التي تمكنه من إنجاز ما يريده بسرعة.

أمّا إذا انتقلنا إلى **المستوى العميق**فيمكن أن نمثل **التمفصلات الدلالية** لهذه المواجهة من مستويين أساسيين : **المعاناة / التحرر** في المربع السيميائي الآتي:[3]

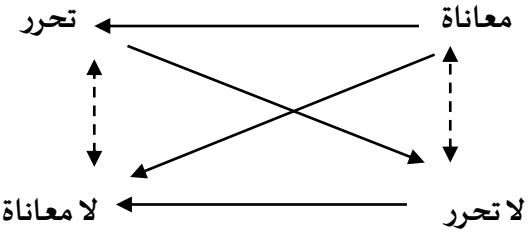


ولقد ظهر واقع جديد يقتضي التعامل معه وفق المنطق،يتم فيه تمحيص الإرث الثوري والاستناد إلى منطق العقل في ممارسة المستجدات،ويظهر ذلك في الرواية من خلال اعتراف الأمير عبد القادر بقوله: « كنت صادقا ،فكرت في لحظة من اللحظات أنّ الوضعيات تغيرت ولم أعد قادرا على تسييرها ،ربما كان غيري أفضل لها ، مما جعله يفكر في الهجرة مع أهله إلى المغرب أملا في تحسين الأوضاع عندما نحس بالضعف يستحسن أن ترك المسؤولية لمن هو أهل لها »[4].

---

[1] ينظر الرواية،ص 187 . 188

[2] ينظر الرواية،صص: 194 . 195

[3] ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية،ص 16

[4] الرواية،ص 176

فالأمير الذي كان يسعى دوما إلى مواصلة المقاومة ضدّ الاستعمار الفرنسي ،صدم بما آلت إليه البلاد من ضغوطات وخيانات مستمرة ،خاصة من أولئك الذين أكلوا معه البؤس والشقاء والملح ،بل و كانت ثقته فيهم كبيرة ،و يظهر ذلك من خلال الملفوظ التالي: « ثمّ أنّني شعرت بالضعف أمام ما كان يحدث أمامي ويحاك ضدي من مكائدأناس أكلوا معك البؤس والشقاء و الملح،فجأة يتخلون عنك ،إمّا أنّك لم تفهمهم أو أنّهم يضمرون غير ما يظهرون »[1]، ممّا جعله يفكر في **الهجرة** مع أهله إلى المغرب أملا في تحسين الأوضاع ،وهذا يظهر من خلال قوله :

« تعبت ،كنت بكل بساطة أريد الذهاب إلى المغرب وترك كل شيء لمن هو أجدر منّي على قيادة الأمة »[2].

و عليه فإن هجرة الأمير لم تكن بغرض الهروب بقدر ما كانت استراتيجية هادفة،إذ أنّه كان يأمل في وجود من هو أحسن لخوض زمام الأمور وقيادة الأمة العربية في الجزائر.

ويمكننا تمثيل **محور حركة** هذه الشخصية على مستوى الثنائية التالية:**هجرة / بقاء** ، والتي يجسدها المربع السيميائي كما يلي :[3]

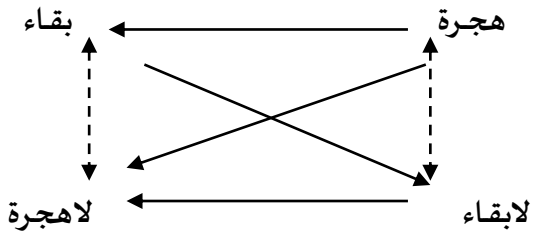


فنلاحظ أن سيرورة الأحداث في المقطع السردي المتعلق بالهجرة تمت من خلال التوتر القائم بين طرفين ،أحدهما **الأمير عبد القادر** الذي يرغب في التغيير نحو الأفضل ،والثاني

---

[1] الرواية نفسها، الصفحة نفسها.

[2] الرواية ،ص 177

[3] ينظر: رشيد بن مالك، ،ص 16.

تمثله **القوى المعارضة ( Les opposants )** التي تعمل على إبقاء الوضع على حاله الرديئة ، وقد حاولت هذه القوى الفتك بالأمير عدة مرات ،ويتجسد ذلك في الملفوظات التالية:

- « تضع اليوم خليفة وفي الغد يأتيك نفس الخليفة مدججا بالأسلحة للفتك بك»[1].

- « لقد خانني مازاري وقبله خانني مصطفى بن اسماعيل »[2].

.«عندما تخلى عنّي أهلي ،طلبت المساعدة من ملك المغرب،فباع رأسي لأعدائي» [3]

ونلاحظ أيضا من خلال هذا التحليل أنّ المربع السيميائي السابق ينبني على محورين متعارضين ممّا أنتج دلالة المقطع السردي .

. **المحور الأول :** تُجسدّه **القوى المعارضة** التي تدفع الأمير إلى التفكير في **الهجرة** إلى المغرب من خلال فرض ظروف صعبة عليه،وبالتالي الانتقال من الفضاء الوطني ( الجزائر ) إلى فضاء آخر ( المغرب )، أمّا رغبته في **البقاء** واستمراره في مقاومة الاستعمار الفرنسي نظرا لما يحمله من أفكار و معتقدات اصطدمت بفئة المعارضين ( الخونة ) **لفعل البقاء**، فنتج عنها تفكير الأمير في الهجرة، ونمثّل ذلك بالمخطط الآتي :

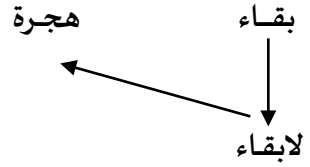


. **المحور الثاني :** يتجسد في فعل الشخصية التي ترغب في لا استمرارية هذا الفعل **( الهجرة )** ،إنّما من خلال فعل تمويهي يؤدِي إلى **فعل البقاء** ،ونمثل ذلك بالمخطط الآتي:

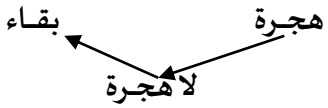


---

[1] الرواية نفسها، الصفحة نفسها.

[2] الرواية ،ص 178

[3] الرواية،ص 408

ويجسد هذا المخطط العلاقة بين الحكومة الفرنسية والأمير عبد القادر الجزائري، إذ ترغب حكومة فرنسا في الإطاحة بالأمير عبد القادر، وبالتالي دفعه إلى الهجرة إلى المغرب أو سجنه أو نفيه خارج الجزائر، وهو الموضوع المرغوب فيه من طرف الحكومة.

وباعتبار أنّ كلّ البرنامج سردي يتأسس من خلال ستة عوامل رئيسية حسب التموذج العاملي لغريماس، هذه العوامل تقوم بالفعل وتشكل البنية الأساسية في كلّ خطاب وهي تأتلف في ثلاثة علاقات : علاقة الرغبة،علاقة التواصل وعلاقة الصراع. وهذا ما يمكن تجسيده في المخطط الآتي: [1]

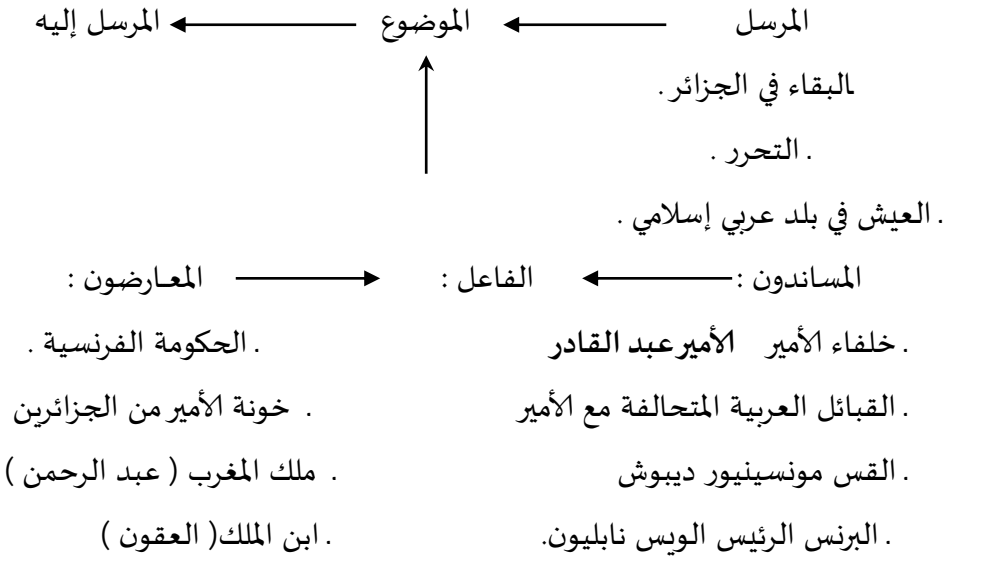


ونلاحظ من خلال هذا المخطط تجسيد ثلاث علاقات :

. **علاقة الرغبة ( Relation de désir ):** وتجمع هذه العلاقة بين الأمير عبد القادر (الفاعل) الذي يرغب في البقاء في الجزائر وتحريرها من الطغاة، وهو الموضوع المرغوب فيه ،و تمثل هذه العلاقة المحور الذي يرتكزعليه النموذج العاملي .

---

[1] A.J.Greimas / J.Courtes ,Sémiotique ,Dictionnaire raisonné de lathéorie dulangage ,Hachette France ,1979 ,P: 401 .

. **علاقة التواصل ( Relation de communication ):**كلّ رغبة لابد أن يكون وراءها محرّك أو دافع يسمى مرسلا ( Distinateur ) ،كما أنّ تحقيق الرغبة يكون موجها أيضا إلى عامل آخر يسمى مرسلا إليه ( Distinataire ) ، وعلاقة التواصل هذه تمر حتما عبر علاقة الفاعل بالموضوع ( علاقة الرغبة ) .

. **علاقة الصراع ( Relation de lutte ):** وضمن هذه العلاقة تعارض عاملان : المساعدون (Adjuvants )، ويتمثلون في خلفاء الأمير إضافة إلى القبائل العربية المتحالفة مع الأمير. أمّا المعارضون (L'opposants )، فيتمثلون في خونة الأمير من الجزائريين، إضافة إلى ملك المغرب عبد الرحمن وابنه العقون، حيث وقف المساعدون إلى جانب الفاعل ( الحكومة الفرنسية)، وعمل المعارضون على عرقلة جهود الأمير في التحرر، وعائقا في طريقه من أجل الحصول على الموضوع ( هجرة الأمير إلى المغرب)؛ كما هو موضح في الترسيمة أعلاه.

ونلاحظ من خلال هذ المخطط مدى جمالية وظائف شخصية الأمير عبد القادر في تحقيقه لتيمة الوطنية، وهو يرغب في البقاء في وطنه الأم الجزائر، وبالتالي مواصلة الجهاد مع إخوانه حتى النصر أو الاستشهاد. وقد سانده في تحقيق رغبته خلفاؤه وحلفاؤه من القبائل العرب. إلاّ أنّ هذه الرغبة حال دون تحقيقها العامل المعارض المتمثل في: الحكومة الفرنسية ومساندِيها من الخونة العرب من الجزائريين،بالإضافة إلى ملك المغرب عبد الرحمن وابنه العقون .

وإذا نظرنا مليا في **الدورة الدلالية للنص** يتضح أنّ الأمير عبد القادر سعى إلى الخروج من **منطق الثابت** والدخول في **المتحوّل** الحامل لقيم تعمل على ترقيتها و تضمن لها حقوقها والدخول في هذا المنطق المرهون سلفا بالانتقال من الفضاء العائلي ( الجزائر ) إلى الفضاء الأجنبي ( فرنسا )، غير أنّ هذا الانتقال لم يتم ولم يحقق للأمير ما كان يصبو إليه، إلاّ بعد عناء طويل وبعد تدخل الآخر ( قس الجزائر الكبير مونسينيور ديبوش )،

الذي كان يركض بين بيته و غرفة الشعب بباريس للدفاع عن الأمير السجين بقصر أمبواز.

وضمن هذا المنظور يتبين أنّ اختيار الأمير لهذا الموقف **( الاستسلام للأمر الواقع )** كان اختيارا صعبا لمواجهة غير متكافئة الفرص ،و مع ذلك استطاع في نهاية المطاف أن يُعترف بوجوده كإنسان حرّ في هذا الوجود، وبالتالي الرضوخ لسلطانه و الخضوع لإرادته ،ويدلّ هذا الخضوع دلالة قاطعة على تقويم المحيط الإيجابي لأدائها، وهومبني على تأويل يفضي إلى **تمجيد الأمير عبد القادر** بوصفه بطلا قد مكّنه النجاح في مشروعه من الانتقال من **الثابت** إلى **المتحوّلبنفي المعاناة وتثبيت التحرر**، ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:[1]

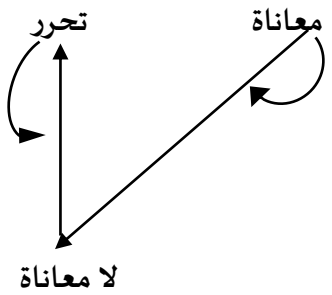


وعليه، فإنّ **الفاعل** ( الحكومة الفرنسية ) لم ينجح في تحقيق مسعاه بمعاقبة الأمير عبد القادر باعتباره مجرم حرب يجب معاقبته، ولم ينجح في صموده أمام **قيم جديدة** ( مونسينيور ديبوش ) متعاطفة مع الأمير، قلبت موازين القوى وألجأت **الفاعل** (الحكومة الفرنسية ) إلى التساهل مع الأمير وبالتالي **الخضوع لإرادته في التحرر والعيش في بلد عربي إسلامي .**

**4. خـاتمة:**

وأهم ما نستخلصه من هذه الدراسة، النتائج التالية:

---

[1] رشيد بن مالك،مقدمة في السيميائيات السردية، م.س ،ص 92.

ـأنّ شخصية الأمير عبد القادرعينة من شخصيات وطنية تاريخية، توزعت على امتداد الرواية، ممّا أضفى على المسار العام للشخصيات طابعا واقعيا.

ـ لقد تمّ توظيفتيمة الوطنية في رواية كتاب الأمير بطريقة تناصية للدليل على رموز التضحية في سبيل قيم وطنية و إنسانية نبيلة في سبيل الخير وإحقاق الحق مقابل رموز الخيانة والعدوانية.

ـتعدّ شخصية الأمير عبد القادر من الشخصيات الأكثر فاعلية على مستوى المسار السردي لرواية كتاب الأمير.

ـيعود هذا النص الروائي إلى واقع تاريخي؛تضمّن دلالات سردية عميقة تدلّ على وحدات خبرية ساهمت في إضاءة خفايا هذهالرواية، وهو **عملية مقصودة** وموجهة من قبل الكاتب إلى القارئ عبر**رسالة** يظهر من خلالها حقيقة الأمير عبد القادر الغائبة عن الأذهان، وإن كانت قد وقعت فعلا، ممّا يدلّ على عمق الصلة الرابطة بين الواقع والتاريخ.

ـ أنّ التاريخ الواقعي مهما مضى فإنّه يجد امتداده في هذا الواقع المعيش،خاصة وأنّ الكاتب يأمل من خلال هذا العمل الإبداعي إلى نصرة الحق تجاه هذه الشخصية الرمز التي تمثّل تاريخ وذاكرة الأمة العربية ومفخرة الدولة الجزائرية،البار لوطنه الجزائر،الحريص على دينه،وتبرئته من تهم خطيرة ألصقت به زورا،وإزالة الغموض وانقشاع الدكنة التي غلّفت وجه الحقيقة مدة طويلة من الزمن.